

المعمل الانساني

ينظر الانسان الى ما اخترعه من المعامل السريعة والآلات المتقنة العجيبة وما ولدته له الكهرباء من الغرائب العديدة فيحار له فيها ويظن انه ليس اعجب منها ولكنه لو نظر الى جسمه وما يتحرك فيه من آلات ويجول من دماء لوجده بالحقيقة معبلاً لا يدانيه على صغره معمل في الارض مهما عظم واتسع ولعلم ان الانسان انما يقلد حركة جسمه واتقانها وانتظامها ولكن هيات ان يبلغ مبلغها في الدقة والكمال

فانه لو نظر الانسان الى قلبه الصغير الذي تحويه دفنا صدر ضيق لوجده من اعظم المعامل حركة واجلها اتقاناً لان هذا القواد الصغير لا ينفك عن الحركة لحظة واحدة منذ ينشأ حتى يفنى بل هو يدير ذاته بذاته ويرد فسادة بصلاحه ويستغل ليل نهار بما لا يشغله اعظم المعامل بل لا يستطيعه فانه يقذف الدم الى الوف الانسجة والاوردته الدقيقة ثم يستردها الى حيث كانت وهكذا دون انقطاع مدة الحياة ودون ادنى خلل في الوظيفة

ولقد حسب ان ما يشغل به القلب كل ضربة من ضرباته تبلغ ست اواق من الدم وهي تبلغ ٧٢ ضربة في الدقيقة بحيث ان ما يشغل به من الدم كل دقيقة يبلغ ٤٣٢ اوقية وما يشغل به كل مدة اليوم يبلغ ٣٨٨٨ غالوناً وهو مقدار عظيم لا يتصور انسان انه يجول في جسمه وان قلبه يتولى تدبيره وتصريفه ذلك عدا العمل العظيم الذي تتولاه الرئتان دون انقطاع كالقلب ودون ان يدري الانسان بمقدار عملها في جسمه وجهدهما لابقاء حركته

وحياته وقد حسب ان مقدار تنفس الانسان بالدقيقة يبلغ ١٧ مرة وفي اليوم كله ٢٤٤٨٠ اي انه يشغل بالتنفس شغل اعظم دواليب المعامل واسرعها لان الهواء الذي يشغل به لقوام الحياة يبلغ ٧٣٤٤٠٠ عقدة مكعبة كل يوم بحيث انه لو حسب شغل الرئتين بالقياس الى سائر اشغال الناس لوجدانهما قائمتان بعمل ٢٠٠ رجل في معمل كل منها

اما سائر الآلات البدنية وما تشغل به لحفظ الحياة كتنفس المسام وسواها فما يقضي بالعجب العجيب ويدل على ان الجسم الانساني معمل لا يدانيه معمل في الارض بل ان كل آلة من آلاته تحسب بمقام معمل متقن تام . ولكن اكثر فحمة الحجري يرد مجاناً من عند الهواء فضلاً عن ان عماله لا يقطعون لحظة عن العمل ولا يعتصبون

كيمياء الشحاذة

تقول العامة عندنا ان الشحاذة كيمياء وهي تريد بذلك الدلالة على فرط ما يرد بسببها من الاموال بدون حق كأنما هي الكيمياء التي يأتي بها المال من تحويل معدن ذني لمعدن كريم او هي الكيمياء بذاتها من جهة تحويل ماء الوجه الى فضة وذهب ولا بد ان يبقى هذا الوصف عدا قاندام في الناس من يتصدق على كل بائس متجول وما دام في الناس من تهون عليهم كرامة نفوسهم في هذا السبيل

ولقد نجد الشحاذة عندنا تمتد وتنتشر كلما انتشرت الثروة العمومية

وكثر الاشغال على خلاف مقتضى الطبيعة فصرت ترى الاشياء الاقوياء يضايقون عليك جلوسك ويمنعون راحتك بكثرة طلباتهم والالحاحهم كأنما انت مديون لهم او نفقتك عليهم واجبة وقد تفننوا في ذلك لما شئت الحيلة حتى صار الواجب على الحكومة ان تهتم بهم وترى رأياً في تشغييلهم لا من حيث مضايقتهم للناس بل من حيث نشرهم للكسل بين كل مستعدله مترشح لقبوله

ثم اننا نظن ان الشحاذة مخصوصة بفقراء بلادنا ممنوعة عن فقراء اوروبا حيث تكفل الحكومات بحاجة كل عاجز او تعين على العمل كل معطل ولكن الحقيقة ان هذه الكيمااء ممتدة الى كل طرف واصلة الى كل مكان ولكن على طرق شتى لا يستطيع منعها واخص ما يكون ذلك في مدينة لندن العظيمة حيث صارت الشحاذة حرفة تذكر فتشكر بعد ان كانت تذكر فتنكر

فان قلت ذكرت احدى الصحف انه لما كان صريد التسول هناك لا يستطيع ان يسأل الناس جهازاً عمد الى بعض اشياء ذئبة يبيعها متوسلاً بها وذاكراً لشاريها انه فقير يستحق الاحسان فيأخذ منه مثلاً غلبة من الكبريت او ربطة للحذاء او شيئاً من ذلك فيكون في الظاهر بائعاً تاجراً وهو في الحقيقة شحاذ اخاذ لان هذه الطريقة تستندي الاكف اكثر من التسول العلني وقد فشلت هذه الطريقة في بلادنا ولكن اكثر متببعيها من الافرنج الذين تدور نسائهم بازرار الورد ورجلهم بعلب الكبريت والموسيقى وسواها فينالون بذلك ما لا يناله سواهم بعرق الجبين وتحمل التبعة والحذر على رأس المال الا ان هذه الطريقة محتملة ميسورة بالقياس الى سواها وهي طريقة التسول بالكتابة فاني الشحاذين في تلك البلاد يطالعون الجرائد بامعان فاذا

قرأوا ان فلاناً قد جاءه مولود بشوا اليه في الحال بالتهنئة ذاكرين له فقرم وشدة احتياجهم فيبيعت اليهم بما يستطيع واذا سمعوا ان رجلاً نال وظيفة بعد ان طالت عطائه ارسلوا له التهنئة مستجدين واذا عرفوا ان فلاناً ربح قضية او كسب في مشروع او شيء من ذلك فعلوا هذا الفعل حتى صار الاستجداء هناك صناعة واي صناعة وقد تفنن فيها النساء بالخصوص فصرن اذا علمن بمولود جديد ارسلن اليه جواربا من صنعهن او قيصاً او نحو ذلك فينلن عليه ما يزيد بكثير عن ثمن ما يرسلن ولهذا يقال ان من النساء والرجال الجارين على هذه الطريقة من يربح الواحد منهم نحو خمسة جنيهات في الاسبوع وهو مقدار لا يربحه اشد المتوسطين جهداً واكثرهم للعمل اتقاناً ولكن الحكومات مع ذلك لا تستطيع منعهم لانهم يبيعون ما لهم حق امتلاكه وهو ماء الوجه

على ان كل هذا ليس بالغريب لدينا بل هو موجود كله وزيادة لان بلادنا مقدمة على كل بلاد من جهة التصديق على الناس والاشفاق عليهم ومن جهة قلة العمل والارباح ولكنه يجري عندنا نوع من الشحاذة ربما لا يكون موجوداً في اوربا على كثرة تفنن اهلها وهو نظم القصائد او نسخها وارسلها للوجهاء قصد الاستجداء دون ادنى معرفة بهم او اتصال بين الناظم وبينهم وهؤلاء هم ممن يقرأون الجرائد بامعان كثير فاذا رأى الواحد منهم ان فلاناً قد جاءته رتبة بادر في الحال الى قلمه ونظم له ما استطاعت القريحة الوقادة وارسله اليه ثم يقرأ ان فلاناً مثله نال وساماً فيبادر في الحال ويرسل اليه نفس القصيدة حتى لقد يرسلها الى عشرة واكثر في يوم واحد فاذا جاءته الجائزة من اثنين منهم فقط كان في ذلك كفاية وغنى لان الجائزة لا تكون

من وجيه نال رتبة اقل من ثلاثة الى خمسة جنيهات فاذا اتفقت له هذه الحال مرتين فقط في الشهر كان له عشرة جنيهات اي راتب موظف مهم في الحكومة وسواها ولكن الموظف ينالها وهو على خطر العزل فوق خطر العمل المتصل وذاك ينالها وهو جالس في النوادي متخطر في الشوارع وقد يعتبر نفسه ذا فضل من حيث انه « شاعر » وانه ذو فضل على الممدوح بانه مدحه وزاد في تشريفه وليس بعد هذه الشحاذة من كيمياء

على انه لا ينكر ان التوسل بالشعر لا يعد عاراً لانه يشترط من اجله ادق الشروط واصعبها وهو الشاعرية التامة والذوق الحسن والمدح الصحيح كما كان يفعل الشعراء السابقون المجيدون ويفعل الان جماعة معدودون مجيدون مثلهم فيكون جزاؤهم على ما نظموا واجبا ويعمدون ذا فضل حقيقي على الممدوح لانهم شرفوه حقيقة وجعلوا الناس تتحدث به وبالقصيدة المنظومة فيه ذلك عدا ما يستشعر به الممدوح من انه زاد نباهة وامتد صيتاً وعاش بعد موته كثيراً . ولهذا كان الشعر يطالب من الشاعر طلباً وكان العظام يتوسلون الى الشعراء توسلاً لكي يمدحهم فان المتنبي مدح مرة احد العظماء فوقف الممدوح بين يديه اجلالاً له وللذي يليق عليه من كلامه النفيس وشعره العالي . وكان سيف الدولة يعاتب المتنبي حين يتأخر عن مدحه كأنه كان يشعر بنفسه ان قدره بهم بالانحطاط فهو يريد رفعه بقصيدة تقال فيه . وكان البختري يدل على العظماء والخلفاء ويثبه عليهم في شعره ويدعي ان ما اخذوه منه افضل بكثير مما اخذه منهم وكان يثبت ذلك في نفس مدائحه وتقبل دعواه بالرضى لان المال الذي اخذه منهم لم يبق منه شيء ولو كان للبختري او المتنبي ورثاء باقون للان لما كان في اكياسهم دينار واحد مما تركه

جداهم بل لما كان لورثة المتنبي ذلك الدينار المشهور الذي اخذه جائزة من علي بن الحاجب على قصيدته البائية المعروفة بالدينارية ولكن القصائد التي مدح بها اولئك الخلفاء والعظماء باقية للان وهم بسببها يذكرون حتى الساعة وحتى الابد مع انه لولاها لما تكلف التاريخ ذكرهم ولو تكلفه لما شهرهم واكثر معرفة الناس بهم كما فعلت القصائد

وعلى الجملة فان الاستجداء بالشعر او اتخاذه حرفة قد كان شريفاً نزيهاً بقدر ما هو حقير دنيء الان وذلك ليس لان العادة قد امتنعت وامتنعت اقبال الناس على الشعر بل لان المجيدين عندنا الان لا يمدحون احداً حتى تبدو حقيقة جزائهم بل المداحون الان هم المتسولون الشحاذون الذين اذلوا قدر الشعر وحقوقه ولهذا يحسن بكل غني وردته قصيدة من دجال في الشعر ان يعرضها على خبيره فيخبره بقدرها حتى ينبذها ويمنع هذه العادة بعدم الجزاء عليها الا اذا كانت من شاعر مجيد فانها تكون بمثابة هدية يجب مقابلتها بمثلاً لان المدحة من الشاعر المجيد تكون بمثابة صورة متقنة اهداها مصور الى غني فمثله بها من جهة الخلق كما مثله صورة المصور من جهة الاخلاق او بمثابة تمثال نحتته نحات ماهر واهداه الى وجيه وهذا مما يحسن الجزاء عليه والمنافسة به من جهة وفاء الخلق ومن جهة تشريف قدر الشعر واصحابه الحسنيين المبدعين

